سيميائية العنوان والغلاف في رواية إبراهيم الكوني (الدُّمية)

أ. أمال محمد علي أبوشويرب
قسم اللغة العربية – كلية الآداب
جامعة صبراته

تمهيد

يختص هذا البحث بدراسة سيميائية العنوان والغلاف في رواية (الدمّية) للكاتب الليبي إبراهيم الكوني الذي يُعدّ قامة سامقة، ورمزاً من رموز الأدب العربي بعامة، له حضوره المميز في الساحة الثقافية والأدبية على مستوى الوطن العربي،فلا شك أن يكون أدبه وشخصيته محور الاهتمام والدراسة والبحث من قبل الطلبة البحاث في مرحلتي الماجستير والدكتوراه؛ فقد ألف الكوني العديد من الروايات والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، وله بحوث في التاريخ والسياسة، كما كتب في العديد من الجرائد والمجالات، حيث اختارته مجلة (لير الفرنسية) أحد أبرز خمسين روائياً عالمياً معاصراً، كما كانت كتبه تدرس كمناهج في جامعات عديدة منها: في جامعة

السوربون، ومنها في جامعة طوكيو، وجامعة جورج تاون، واعتمدت كمادة مرجعية للدراسات البحثية لنيل الدرجة العلمية، يجيد تسع لغات،كما ترجمت معظم أعماله إلى لغاتعدة، وتحصل على العديد من الجوائز الوطنية والدولية عن أعماله ومؤلفاته الروائية، كما رشح لجائزة نوبل مراراً.

وعليه فقد حظيت روايته (الدمّية) بدراسة سيميائيةالعنوان والغلاف حيث قسمت الدراسة إلى قسمين، القسم الأول يتناول مفهوم النظرية السيميائية بعامة والقسم الثاني يتناول سيميائية العنوان والغلاف في رواية الدمّية.

القسم الأوّل: ماهية النظرية السيميائية

ظهرت العديد من النظريات النقدية الغربية الحديثة من بينها النظرية السيميائية التي داع صيتها في القرن العشرين وقد دخلت هذه النظرية الساحة النقدية العربية محملة من قبل النقاد العرب والغرب، فماهي جذورها وأهدافها واتجاهاتها وانتقاداتها ومفاهيمها لدى العلماء الغرب والعرب؟

سيلي الحديث أو الاجابة عن هذه التساؤلات بشي من الايجاز..

لقد وردت لفظة (سيمياء) في القرآن الكريم دون ياء في بعض الآيات منها قوله تعالى ﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ** ﴾[1]

وقوله:﴿ **يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ** ﴾- [2]وقوله تعالى: ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُم قَالُوا مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾[3]

إن الدلالة التي منحتها اللفظة في الآيات الكريمة:((العلامة)).

مفهوم السيمياء لغة:

جاء في لسان العرب معنى لفظة (سيمياء):

((السُومُةوالسَيمةُ، والسُوَمُة بالضم: العلامة تجعل على الشّاة.)). [4]

وجاء في معجم مختار القاموس:

((والسيمةُ، والسيماءُ: العلامةُ، وسوّمَ الفرس تسويماً: جعل عليه سيمةً، سوّمَ الخيل أرسلها " من طينٍ مُسوّمةً"، أي مُعلمةً ببياض وحُمْرةٍ ". [5]

أما في المعجم الوسيط فمعني لفظة (سيمياء): سَوَمَ فلان أتخّذ سمة ليُعرف بها، و السُّومة)، السّمة والعلامة والقيمة، يقال: إنه لغالي، السُّومة (السيّمة)السُّومة، و(السيّما): العلامة، والسيماء السّحر. [6]

أعمله بسومة وهي العلامة. [7]

إن دلالة اللفظة التي وردت في المعاجم اللغوية تتفق مع اللفظة الواردة في القرآن الكريم فكانت بمعنى (العلامة).

مفهوم السيمياء اصطلاحاً:

تنحدر كلمة (سيميولوجيا) من الأصل اليوناني (Semeion)، والذي يعني العلامة، و (Logos) الذي يعني الخطاب والذي نجده مستعملا في كلمات (Socioloyie) علم الاجتماع و (Blologie) علم الاحياء وبامتداده أكبر كلمة (Logos) تعنى العلم، فيصبح تعريف السيميولوجيا: علم العلامات. [8]

عرف سوسيرالسيمياء أو (السيميولوجيا) بأنها: علم يدرس حياة الاشارات ضمن المجتمع مهمتها الكشف عن العوامل والشروط المؤدية إلى نشوء الاشارات، وتحديد القوانين التي تخضع لها، أو تحديد عملية (التسميؤ). [9]

بينما اعتبر (بيرس) السيميائيات نظرية للعلامات، وكل ما يقوم مقام الشيء ويمثله سواء كانت علامة لفظية أو غير لفظية، طبيعية أم اصطناعية.

ويعرفها أمبيرتو إيكو بأنها: علم يدرس سائر ظواهر الثقافة بوصفها أنظمة للعلامات، وتلك العلامات في جوهرها اتصال كما يرى أن السيميائيات عبارة عن دراسة شاملة لهذا الكون العلاماتي، وأن هذا الكون برمته (علامة).[10]

أما مارتينيه فيعرفها: بأنها دراسة جميع السلوكيات والأنظمة التواصلية، وتعد لفظة (سمولوجيا) مرادفة للفظة (سيميوطيقا) إلا أن البعض يري أنه يمكن تخصيص مصطلح السيميولوجيا بالتصوير النظري، ومصطلح السيميوطيقا بالجانب الاجرائي التحليلي، فتكون السيميولوجيا نظرية عامة، والسيميو طيقا منهج تحليلي نقدي تطبيقي[11].

ويقول سعيد بنكراد: إن السيميائيات علم موضوعه غير محدد، يهتم بكل مجالات الفعل الانساني، وهي اداة لقراءة كل مظاهر السلوك الانساني بدءاً من الانفعالات البسيطة ومروراً بالطقوس الاجتماعية، وانتهاء بالانساف الايدولوجية الكبرى.[12]

ويعرفها صلاح فضل: العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة.

في حين يذهب سعيد علوش إلى تعريفها بقوله: هي دراسة لكل مظاهر الثقافة، كما لو كانت أنظمة للعلامة، واعتماد على افتراض مظاهر الثقافة كأنظمة علامات في الواقع. [13]

والسيميولوجيا في موسوعة علم الانسان هي: " علم العلامات أو السلوك المستخدم للعلامة وينطوي على دراسة كل من الاتصال اللغوي وغير اللغوي، كما يدرس كيف تخلق عملية تنميط السلوك الثقافي البشري صور الدلالة التي يتم تفسيرها وفقا لمبادئ عامة مشتركة."[14]

أهداف النظرية:

إن الهدف الذي تسعى إليه هذه النظرية تناول الرموز بقدر ما تتناول الإشارة، والبحث في علاقتها بالمعاني والدلالات المختلفة التي يمكن أن تشير إليها.

كذلك البحث في أنظمة تلك العلامات اللغوية أو الايقونية أو الحركية وبالتالى فاذ كانت اللسانيات تدرس الأنظمة اللغوية فإن السيميولوجيا تبحث في العلامات غير اللغوية التي تنشأ في حضن المجتمع. وهذا ما أجمع عليه أغلب الدراسون، بينما تضيف جوليا كرستيفاأن الهدف من موضوع السيميولوجيا أو موضوع السيمولوجيا تحديدا هو دراسة الأنظمة الشفوية وغير الشفوية ومن ضمنها اللغات بما هي أنظمة أو علامات تتمفصل داخل تركيب الاختلافات وهذا هو الذي شكل موضوع علم السيميوتيقا (العلامة). [15]

أهم الاتجاهات السيميائية.

لقد توسع الحقل السيميائي توسعا كبيرا، نتيجة تداخله مع مجموعة من العلوم والمعارف الانسانية الأخرى، وبعد تمكنه من الاستقلال بمنهجه الخاص به، جاول حرواده ودارسوه فرض تطبيقاته على مختلف مظاهر الحياة، فكان أن اتجهت الدراسات السيميائية بذلك في اتجاهين:

الاتجاه الأول: تمثل في القسم اللغوي الذي أهتم بدراسة النصوص الأدبية واللغات والنصوص العادية دون الخروج على اطار اللسانيات، وكان لثنائية سوسير (الدال والمدلول) دورا في هذا الاتجاه.

الاتجاه الثاني: القسم غير لغوي، وهو الذي غطي الحيز الأكبر من اهتمام السيميائيات خاصة في الوقت الراهن، فقد أنفتح هذا الاتجاه على أبعاد وجوانب الحياة الإنسانية انطلاقاً من أنظمة التواصل وما يختزله من ايحاءات ودلالات وانشقت عن هذا القسم العام مجموعة من الفروع السيميائية من أهمها:

1- سيمولوجيا التواصل.

2- سيميائيات الدلالة.

3- سيميائيات المسرح.

4- سيميائيات الصورة والاشهار.

5- سيميائيات الخطاب ؛ ومنه (الخطاب اللساني، الأدبي، والشعري).

وقد استقل بكل هذه الخطابات فرع من السيميائية ؛ كما نجد فروع سيميائية حديثة أخرى مثل:

أ- سيميائيات الشخصية.

ب- سيميائية العتبات النصية.

ت- السيميائيات السردية التي تعتبر واحد من أهم الفروع المنشقة من صميم الدرس السيميائي، والتي تمخض ظهورها عن ذلك التوسع الذي عرفه الحقل السيميولوجي، حيث لم يكن هذا الفرع محط اهتمام الدراسين من ذي قبل. (16)

وهذا الفرع الذي نحن بصدد دراسته في هذا البحث المتواضع كبداية الغوص في هذا المجال.

نقد النظرية السيميائية:

لا يخلو منهج من المناهج، أو اتجاه من الاتجاهات من النقد، وكذلك النقد لكل من أهتم واشتغل بهذا الاتجاه على كافة المستويات.

فمن العلماء الذين وجهوا انتقادات لهذه النظرية مايلي:

1- تودروف: ملخص نقده بأنه لايمكن الحديث عن بناء علمي متكامل، وبالرغم من أعمال (سوسير)، و(بيرس) وغيرهما فإن السيميائيات تظل مجموعة من الاقتراحات أكثر منها علماً أو كياناً معرفياً، مؤسساً تأسيساً سليماً.

2- رولان بارت: إن السيميولوجيا علم من بين العلوم، تعتبر ضرورية لكنها غير كافية.

3- مارسيلو ذاسكال: إن الدراسات البيولوجية لاتزال في طفولتها وهي لم تتحول إلى سيمولوجيا واحدة متوفرة على تجانس منهجي ومفاهيمي، وأنها لاتزال في مرحلة ماقبل الأنموذج من تطورها كعلم.

4- العالم بنفيست، وافق على النظرية بأكملها ولكن خالف سويسر في أن الاعتباط يقع بين العلامة (دالاً ومدلولاً)، والشيء الذي تعينه وليس بين (الدال والمدلول) [17].

إلى غير ذلك من الانتقادات يمكن أن نخلص من تلك الانتقادات مايلي:

إن تلك الآراء أو المفاهيم والانتقادات استقامت أو لم تستقم حول هذه النظرية وخصوصيتها لا يمنع من اتفاق الباحثين في هذا المجال على أن الرسالة التي ينقلها مرسل إلى متلق لايمكن أن تتم إلا إذا كانت قائمة على قواعد مستقرة، وتستند إلى اتفاق ثقافي، أو إلى نظام لغوي أو غير لغوي.

مفهوم النظرية السيميائية عند الغرب.

إن السيميائية في المفهوم الغربي لا تخرج عن كونها (معرفة للعلامات)، ونظرية عامة للتمثيل الإعلامي في كل صورة وتجالياتها عند الحيوان أو البشر، فقد " استكملت السيمياءالحديثة تطورها منذ بداية القرن العشرين في مجال الألسنية البنيوية عند سوسير (1857 – 1913).

وفي ميدان المنطق والفلسفة عند بيرس (1857 – 1914). [18]والسيميائياتكعلم تعنى بدراسة الظواهر الاشارية من حيث طبيعتها وخواصها وأنساقها وأشكالها.

ومنذ الخمسينيات صار المنهج السيميائي شادا في ميادين علم الأدب والمسرح، الأمر الذي أدى إلى انتشار مزيج متجانس من المصطلحات المتسمة بالغموض والتجديد وانفتاح التقدم الأدبي والمسرحي الذي ظل لقرون خاصة به على الألسنة والسيمياء. (19)

ولاشك ان العالم اللساني البنيوي السويسري (فرديناندسوسير) هو الذي بشر من خلال كتابه (مبادئ في اللسانيات العامة)، باعتباره جزء من علم النفس العام الذي يشتغل على الأشكال غير اللفظية من قبيل علامات المرور ولغة الصم والبكم.

وعرف السيميولوجيا بأنها: علم يدرس حياة الاشارات ضمن المجتمع وستظهر ماينشئ الاشارات وما القوانين المتحكمة بها وتحديد عملية التسميّو. (20)

كان سوسير يطمح أن تكون السيمياء علما يتخطى الألسنية إلى ميادين مختلفة لأن كل أشكال التواصل البشري تستخدم لغة ما، وأن اللغة كنسف اشاري ليست الألف والياء والتاء فقط، بل قد تكون الثياب التي نلبسها لأنها تنقل انطباعا عن الآخر من ناحية عمره ومرتبته الاجتماعية وذوقه، أو منزلة وألوانه وما يوحي به إلى غير ذلك.

وقد تكون تلك اللغة أحد مظاهر الطبيعة من غيوم وجبال وأنهار وغيرها، كلها عناصر إشارية تمفصلت وإنتضمت كاللغة وفق قوانين وأنساق محددة، وأن استجابتنا لمعاني الاشارات تلك يدل على اختيارنا للكيفية التي تعمل بها تلك القوانين. (21)

((كما نظر سوسير إلى الاشارة اللغوية، كعلاقة ثنائية بين الدال وهو مجرد صورة صوتية، ومدلول أي فكرة أو مفهوم ذهني.مثلا: كلمة (شمس) هي اشارة والحروف (ش – م – س) هي الدال، وما تثيره في ذهن المتلقي هو (المدلول)، أو فكرة (الشمس) وليس الشمس الفعلية، وهذا يعني أن العلاقة بين الدال والمدلول لا تشير إلى الواقع الفعلى الطبيعي، بل تكتفي بصورة ذهنية عنه)). (22)

إن العلاقة بين الدال والمدلول انطباعية أي مصطنعة وليس لها مبررات منطقية أو دوافع طبيعية أو حواجز فإن كان لها ذلك لكان هناك (دال) واحد ملازم لمدلول الشمس في كل الكون. إذا فالعلاقة بين الدال والمدلول تخضع لأ حكام اللغة ذاتها، وليس لأحكام الطبيعة أو المنطق [23]

وسار على هذا المنهج العالم (رولان بارت) فدرس الأنساق البصرية الدالة (الموضة والإشهار) ومن خلال تطوير ثنائية (دي سوسير) الدال والمدلول، والتقدير والإيحاء والشكل والمحتوى (سيميولوجيا الدالة). [24]

أما العالم الأمريكي شارلز ساندر بيرس (1919م) من خلال محاضراته التي ألقاها وجمعت له بعد وفاته اعتبر السيميائيات نظرية للعلامات بوصفها كل ما يقوم مقام الشيء ويمثله سواء كانت علاقة لفظية أو غير لفظية، طبيعية أم صناعية.

وإن تطورت الدراسات السيميائية فأنها مدنية لهذين العالمين أوالعالمان (دي سوسير، وبيرس) في إرساء وتأسيس النظرية السيسمائية.

أما العالم امبرطوإيكو أعتبر أن موضوع السيميائيات هو الوظيفة السيميسائية وليس العلاقة. وأن الكون برمته علامة، وأعتبر السيميائيات دراسة شاملة لهذا الكون العلامي.

ووافقه في ذلك أيضا العالم الروسي (يوري لوتمان) فقد استند كل منهما على منجزات (بيرس) لتأسيس سيميائة الثقافة، كما سار على هذا المنهج أيضاً (جورج موران)، و (أندريه مارتينه)، وغريماس مؤسس مدرسة باريس السيميائية السردية، ومشيل اريفية، وجاك فانتيني، والعالم الكندي توماس سيبيوك، وسعيد بنكراد من النقاد العرب، كل منهم جمال مشعل الدراسات السيميائية كعوالم وأفاق جديدة. [25]

مفهوم النظرية السيميائية عند العرب.

لقد تعدد استعمال مصطلح (سيمياء) عند بعض العلماء العرب قديما كالجاحظ، وابن سينا، وابن خلدون، والفارابي، والجرجاني، والقرطاجني، وسيلي الحديث، عن بعض منهم.

قد تحدث ابن سينا في أحد فصول مخطوطة (الدّر النظيم في أحوال علوم التعليم) عن علم السيمياء، وقد افرد له فصلا وعنونه (بعلم السّميا)، حيث ذكر بعض الأنواع، منها ما يتعلق بالحركات العجيبة التي يقوم بها الانسان، وبعضها يتعلق بفرع علم الهندسة، والبعض الآخر متعلق بالشعوذة أي مرتبط بعلم السحر والطلسمات وغير ذلك.

ونجد كذلك ابن خلدون قد تحدث عن الجانب الغيبي والسحري لعلم السيمياء في مقدمته لكتابه (علم أسرار الحروف)، حيث تكلم على طابع الحروف وأسرارها سارية في الاكوام على النظام، كما تحدث على ظهور الخوارق.

كما يدل المصطلح عند البعض على الكيمياء، والمنطق، وعلم التفسير، والتأويل وإلى غير ذلك من العلوم وارتباطها بهم. (26)

وهذا دليل على أن للعرب قديما اسهامات في هذا الحقل السيميائي، وإن كانت بعيدة عما يعنيه المصطلح في الدراسات الحديثة المعاصرة.

أما عن العرب حديثا فقد طرح المصطلح اشكالات عديدة لدي بعض الدارسين العرب أثناء محاولتهم نقله اللغة العربية، فتعددة مقابلاته لديهم، وخلق لهم نوع من الفوضى الناتجة عن كثرة التسميات، ويُرجع الدكتور فيصل الأحمر ذلك إلى بعض الأسباب منها:

1- انعدام فهم ووعي جيد للمصطلح

2- محاولة البعض تطويع المصطلح ليتماشى وسلامة اللغة العربية.

3- تعصب بعض الباحثين للتراث ومحاولتهم ايجاد مقابل لهذا المصطلح في تراثنا العربي، ومن هذه التسميات التي قابل بها الدارسون العرب هذا المفهوم نجد:

(السيمياء، السيمية، السيميائية، السيميولوجيا، السيميوطيقا، والرموزية، وعلم العلامات، كما ترجمة الدكتور عبدالسلام المسدي، وقد بقت هذه التسمية الأخيرة عند المسدي هي الغالبة لدي الجميع، وإلى جانب مصطلح (السميائيات) على استعمال معظم الدراسات الحديثة في هذا الموضوع. [27]

كما ارتبط علم السيمياء بعلم الدلالة إلى حد كبير، حيث أن كلاهما استفاد من علم الطب والفلسفة واللغة والآداب، وقد اعتنى فلاسفة اليونان وعلماء الهند بالمواضيع التي عنى بها الفكر الانساني، كما ركز النقاد العرب قديما أيضا على اللغة باعتبارها الأساس الأول لدراساتهم المتصلة بالعلوم الشرعية أو العلوم اللغوية كالنحو والصرف والبلاغة واعتبروها مفاتيح ضرورية للتعمق في دراسة العلوم الشرعية.

ومن هذا نستنتج أن العلوم اللغوية تأثرت بمفهوم الدين وأصبحت تهدف إلى استخلاص الأحكام والتشريعات الموجودة في القرآن الكريم، وأن الخوف من ضياع المعنى وافساده كان له أثر في ظهور علم الدلالة الذي أحرز الباحثون فيه أبحاث دلالية عديدة في عدة علوم، حيث ادى إلى تلاقح بين العلوم النظرية واللغوية فأنتج الفكر الدلالي العربي، وأرسى قواعده الأساسية التي يعتمد عليها كل من (علم الدلالة، وعلم السيمياء) على حد سواء.[28]

ومن أبرز العلماء العرب الذين تبنوا هذه النظرية الحديثة صلاح فضل، عبدالله الغدامي، محمد مفتاح، سعيد بن كراد، محمد السرغيني، سعيد علوش، سامي سويدان وغيرهم.

ونستطيع أن نقول إن للعرب القدماء إرهاصات في هذا الموضوع أمثال: (الجاحظ، ابن خلدون، ابن سيناء، الجرجاني، الفارابي، وغيرهم....).

وتلك الإرهاصات عبارة عن ملامح وإشارات كان لها حضور في مجال عرف (بعلم الدلالة)، ولكنه لم يرق من ناحية التطبيق إلى ما وصلت إليه (النظرية السيميائية الحديثة، من

تطور في مفهومها الحديث، وهذا ما جعل بعض النقاد العرب الحداثيون أمثال (الغدامي، صلاح فضل، سعيد بنكراد)، وغيرهم ينصرفون عنها، ويتبنون النظرية السيميائية الغربية بأفكارها واجرءاتها وألياتها.

فقد لاقت رواجاً عند النقاد العرب خلال القرن العشرين، الذي يعد القرن الذهبي للدراسات النقدية في الحقل النقدي الغربي والعربي نظراً للقفزة التي أحدثتها اللسانيات. [29]

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية:

أولاً- سيميائية العنوان في رواية إبراهيم الكوني (الدمَّية)

اهتمت الدراسات النقدية الحديثة بدراسة العنوان دراسة سيميائية وأصبحت هذه الدراسة من القضايا النقدية المهمة التي شغلت بال الباحثون في هذا المجال.

ومما لاشك فيه أن العنوان يؤدي دوراًأساسياً في فهم المعاني القيمة للعمل الأدبي، وهنا كان الاهتمام به أمراً حتمياً لأنه أول عتبات النص التي تمكن المتلقي من فك شفرات النص الداخلية، ومعرفة الرموز والايحاءات المتعلقة بأسماء الشخصيات الذكورية والأنثوية، والحوارات القائمة بينهما، وأسماء الأماكن وما تحتويه الطبيعة من كائنات وموجودات كلها تدور في اطار زماني ومكاني يجب أن يستوعبه القارئ النموذجي لكي يساعد في بناء المعني؛ لأن النص لايمكن له أن يصبح مرئيا وقابلاً للإدراك إلا إذا تم الكشف عن النسق المولد له، فلا وجود لدلالة شكل كلي وتام ونهائي قبل تدخل الذات القارئة التي تقوم بإعادة بناء القصديات الضمنية المتحكمة في العلاقات الغير مرئية ومن خلال التجلي المباشر للنص.[30]

وللكشف عن معاني النص الخفية وربطها بالعنوان وتقديمها للمتلقي يتطلب القراءة الواعية المتأنية، والمخزون الثقافي والأدبي الرصين، وكذلك الدربة والتمرن، والقدرة علي التحليل والتفكيك لصناعة النص الجديد أي مرعاه معادلة فنية لإنتاجية الأدب وهي:-

عنوان الابداع + المتن الروائي + اسم المبدع = العمل الابداعي

فالعنوان ينفتح على دلالات متعددة، وهنا يبرز دور القارئ النموذجي الذي أشار إليه (إيكو) في قوله:

" نحن نفكر في قارئ ما أثناء الكتابة تماماً كما هو حال الرسام الذي يفكر في المشاهد اثناء رسمه اللوحة " [31]

إن اختيار إبراهيم الكوني لعنوان الرواية (الدُمية) ليس عبثاً، وإنما جاء نصاً مختزلاً ومكثفاً ومختصراً في الوقت ذاته وملئ بالدلالات والمعاني، وبما أن سيميولوجيا الدلالة مهمتها ربط الدال والمدلول أو المعني فإن عنوان رواية الكوني (الدمية) (دال) يتوافق ويتظافر كثيرا مع مدلول النص وما يحتويه من المعنى الداخلي ونلمح ذلك من خلال النص حين اختير بطل الرواية (أوغلي) حاكما للدولة من قبل أجندة متمثلة في (أهلوم، وكبير التجار) وبعض أهل الواحة تلبية لمتطلبات الواقع في تلك الواحة الحمراء.

وكان دورة عبارة عن (دمية) يحركها الآخر حسب أهوائه وأغراضه ومصالحة، كما يقصد هو بأن اختيار الحكم طموح انساني هدفه الاصلاح واقرار العدل في المجتمع والرفعة به.

وكذلك نجد التظافر بين العنوان ومدلول النص في القسم الثاني من الرواية الذي عنوانه (بالدمّية) هذا القسم يشير إلى أن اختيار الحاكم على حد قول (أهلوم) من قبل أهل الواحة ليس بضريح تحت التراب، بل رجل يدب على قدميه، وكان رد أوغلي: ((إن مكاني بجوار الزعيم وليس فوق العرش)).

فرغم رفض (أوغلي)لأن يكون الحاكم على الواحة، يحاول أهلوم وأهل الواحة إقناعه بالحكم، فكان عنوان هذا القسم (الدُميَّة) له معنى ورمزاً فالحكام مجرد بيادق ورموز تتحرك بواسطة إرادة سلطة عليا في أغلب المجتمعات.

إذا فعنوان الرواية (الدميِّة) تربطه علاقة تكاملية بالنص الداخلي فهو بمثابة الدال الإشاري للنص، والكوني ربما حاول الربط بين الرواية وواقعهوكل ما يتصل به من مؤثرات فأنتج هذه الرواية التي حاول من خلالها أن يصف عالم الصحراء بما فيه من طبيعة وموجودات وتساؤلات وألغاز، والتبحر من خلال لغته في التاريخ القديم والديانات والحضارات والفلسفات القديمة برموز وإشارات واستدعاء الأساطير والحضارات وبعض الخرفات كالغول والجنية موضحاً بذلك خصائص واقعية في حياته وبيئته كالصراع المستمر بين الخير والشر والعدل والظلم والصراع على الحكم وغير ذلك.

فالعنوان والنص يشيران إلى دلالة واحدة في تماثلهما مختلفة في قراءتها، فأحدهم موجز مكثف هو العنوان (الدميَّة)، والآخر طويل وهو (النص) بأقسامه التي لها أبعاد دلالية ورمزية تغري الباحث يتتبع تلك الدلالات وفك شفراتها الرامزة من خلال القراءة التأويلية.

الخرق الدلالي للعنوان:

كُتب عنوان الرواية (الدمية) بعبارة موحية لها دلالة مخفية بعيدة، فالدمّية في الواقع عبارة عن جسم بلا روح تمثل طفل إنسان أو حيوان أو أي شكل آخر له علاقة بالإنسان ، أو مخلوقات خيالية في بعض الأحيان.

ظهرت الدمي إلى الوجود منذُ بداية الحضارة البشرية، وتمت صناعتها من العديد من المواد كالحجر والخشب والعظم والورق والقماش والمطاط والبلاستيك، تتحرك بواسطة خيوط خلف ستار أو صندوق خشبي.

تستخدم بعضها كألعاب للأطفال، وعند البعضتعد من الديكورات التي تتواجد في المنازل لجمال شكلها ولونها، ولها قيمتها الحنينية والتاريخية والمالية كذلك.[32]

فعنوان الرواية (الدمّية) من العناوين الإيحائية التي تحيل إلى دلالات عديدة تحير القارئ وتدفعه لقراءة النص الذي يصبح في أغلب الأحيان شارحاً للعنوان، كما يقوم بتفسيره وفك طلاسمه ورموزه لأن العنوان يكتسب الوظيفة التشويشيه(La functionparasitive)في معظم الأعمال.

فالخرق الدلالي الذي أحدثه عنوان الرواية (الدميَّة) خرّج هذه اللفظة من دلالتها الحرفية (لعبة من خشب أو قماش)، وربط بينها وبين الحقيقة والواقع الذي يتحدث عنه الراوي في الصحراء، أو في واقع الواحة، وتكونت علاقة رمزية غير مألوفة لدى القارئ من الوهلة الأولي، وهذه الرموز أو الإيحاءات تتطلب من القارئ معرفة محتوى النص الروائي أو اكتشاف مضامينه الفكرية والأدبية، كما يجب عليه إعمال الفكر وإمعان النظر لفك معاني تلك الشفرات المبهمة في عالم الأدب.

وهذا الجدول يوضح الخرق الدلالي لعنوان الرواية:

العنوان	الدلالة الحرفية	الخرق الدلالي	النتيجة
الدميةُ	الدمّية هي: جسم بلا روح تمثل طفل إنسان أو حيوان وأحياناً تكون مستوحاة من الحيوان أوالخيال، مصنوعة من الخشب أو القماش تتحرك أحياناً بواسطة خيوط يميناً ويساراً للعب والتسلية.	ترمز الدمّية إلى أشخاص ضعاف يقودهم أشخاص أصحاب نفوذ وسلطة عليا تدير الأمور كما تشاء وفق مصالحها، وقد يكونوا من طبقة المجتمع نفسه، وقد يكونواأجندة خارجية تدعمهمأيضا سلطة أقوىوأكبر	إنالربط بين لفظة الدمَّية بمعناها الحرفي والدلالي جاء عن طريق رمز الدمَّية وكان رمزاً مكثف وغامض وخفي.

ثانياً- سيميائية الغلاف في رواية إبراهيم الكوني (الدُمية)

يعد الغلاف من ضمن العتبات الأولي التي يقف عليها القارئ وتلفت انتباهه، فيقف عند وقفة تمحص، فيكشف عن طريقة علاقته بالنص وبغيره من النصوص، كما يرتبط لونه أيضاً بصاحب النص وعمله، كما اهتمت دور النشر بالرموز والصور والإشارات المدونة علي سطح الغلاف، وكذلك الأشكال الهندسية من تقسيمات وأجزاء وخاصة في المدونات السردية، لأنها تحمل دلالات جمالية وإيحائية عديدة، كما توصلوا إلى تصنيف أغلفة الكتب تصنيفاً (خارجياً وداخلياً)؛ فالتصنيف الخارجي يشمل:

العنوان –اسم المؤلف – وشركة الإنتاج –دار النشر– والطبعة– اللون–الصور والزخارف– والرسومات ... وغير ذلك.

أما التصنيف الداخلي يتمثل في:

الفضاء الطباعي ويقصد به الحيز الذي تشغله الكتابة علي مساحة الورق، ونوعه، ونوع الخط،وتقنية البياض، والنقط والفراغات وغير ذلك.

إن وظيفة القارئ هنا الربط بين الغلاف ولونه وشكله الخارجي، وما مدى علاقته بالعنوان،وهذا يتطلب قارئ نموذجي صاحب ثقافة وخبرة فنية عالية.

وعليه فهذا التصميم الخارجي لغلاف رواية الدمَّية:

اسم الديوان	المؤلف	دار النشر	سنة الطبع	صورة الغلاف

الدُّمية	إبراهيم الكوني	منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام	2007م	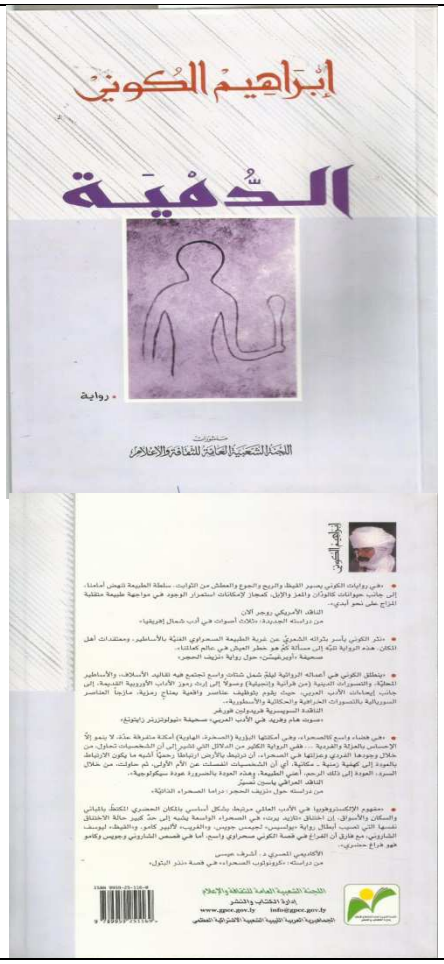

القراءة البصرية في صورة الغلاف.

فيما يتعلق بتقسيم إطار الصورة البصرية للغلاف فقد قسمت إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول: وهو الجزء العلوي من الرواية حيث فصل بينه وبين الجزء السفلي بخط، ويتضمن الجزء العلوي اسم المؤلف، وعنوان الرواية، وقد كتب اسم المؤلف بلون أحمر غامق تتخلله خطوط رقيقة من الخلف يمكن تأويلها إلى:

1- إن تلك الخطوط بمثابة خيوط الدمّية التي تحركها يميناً ويساراً وإلى أعلى وأسفل من خلف ستار، وهذا هو الإيحاء البعيد الذي قصده المؤلف وهو أن حاكم الواحة وغيره من الحكام العرب تحركهم أجندة خارجية وفق مصالحها، فالدمّية (دال)، والمعنى من وراءها هو المدلول الذي قصده المؤلف.

2- قد تكون تلك الخطوط هو حبات مطر غزيرة متدفقة على كلمة (الدمية)، فالكوني هنا يتأمل ذات يوم أن يكون قد غسل المطر غبار القيد لتنعم الأوطان بالحرية والخير والنماء.

وقد تكون رمزاً للخيرات والثروات الموجودة في الصحراء.

أما القسم الثاني:

يتمثل في الجزء الكبير من الغلاف من أسفل وقد انقسم إلى جزءين الجزء الكبير أخذ مساحة كبيرة بلون فاتح جداً يتخلله جزء صغير مربع الشكل به رسمة إنسان حاملاً في يده (عصى أو فاس)، وكانت بلون بنفسجي أكثر غمقاً.

فالجزء الكبير كما أشرنا له سلفاً بلون هادئ إشارة إلى الوطن المستقر الخالي من صراعات الحكم، وهذا من تأملات الكوني ومن آماله اتجاه واقعه ووطنه، وربما يدل الهدوء والسكينة بالصحراء.

أما دلالة المربع الصغير أو هو بالأحرى إطار باخله صورة رجل حاملاً (عصى أو فأس)، فالعصى إشارة إلى الحضارات القديمة.

وتاريخ الإنسانية الحافل بالانتصارات والبطولات والقوة والحرية التي ظلت كصورة معلقة في أذهاننا نحتفظ بها.

هذه إشارة من الكوني للمحافظة على تاريخ الأمة والسير على نهجه والاقتداء به.

وإذا كان فأساً فتلك إشارة إلى الطن المليء بالخيرات والثروات فيجب أن لا يستباح وأن لا يغتصب وأن لا يباع من خلال الدمى الجالسة على كراسي الحكم.

كما أيضاً تحمل صورة الرجل بعض التأويلات الدلالية التي يكتنفها التخفي والغموض منها:

أ- يرمز الرجل بعصاه أو فأسه إلى الماضي البعيد لتلك الواحة أو الصحراء وتاريخها، صورة تحمل القوة والتحدي، كما تشير إلى أن الصراع على الحكم ما زال مستمر ولن ينتهي.

ب-ربما صورة الرجل ترمز إلى المؤلف نفسه، فهو من خلال روايته قد يؤرخ لحياة الصحراء وما فيها من ديانات ومعتقدات، وعادات تاريخية قديمة ليتعرف القارئ على ذلك الواقع ورموزه وحكاياته وأساطيره وخرفاته، فكأنه يخترق الظلام أو الضباب الذي يحجب عنه الرؤية، سواء بفأسه أو بعصاه متحدياً بإرادة عالية كل الصعاب بغية الوصول إلى ما يطمع له وهو إنتاج نص من بيئة واقعية وإيصالها إلى المتلقي عبر رموز وإشارات دلالية، واستدعاء بعض الشخصيات الإنسانية والأسطورية.

دلالة اللون في غلاف الرواية.

عند الحديث عن الألوان وما توحي إليه من دلالات نسترجع قول مارتن كريستي مصمم الشعارات المشهورة من لندن: " إن فهم سيكولوجية الألوان هو أمر غاية في الأهمية عند تصميم أي شعار ناجح " [33]

فإن اختيار الألوان من أهم خطوات التصميم، فالعقل البشري يستجيب بصورة كبيرة للمؤشرات البصرية، ويعد اللون واحد من العوامل الرئيسية في تحديد هذه الاستجابة، فكل لون يحمل معاني كثيرة حوله، لذلك يجب معرفة معاني الألوان ومدلولها أو مبادئها، فكل لون له

تأثيره أما سلبي أو إيجابي، كما يجب مرعاه الاختلافات الثقافية عند اختيار الألوان خاصة إذا كان التصميم لخارج الدولة، فدلالة اللون الأحمر مثلاً في بلاد الصين يعبر عن الحظ، بينما دلالته في الهند على الحداد، فيجب أخذ كل هذه الاختلافات بعين الاعتبار. [34]

"إن اهتمام الإنسان باللون ظهر مع نشوء أولى الحضارات المبكرة في العالم بدءاً من حضارة وادي الرافدين والنيل"[35]إلى هذا الزمن الحالي.

كما تلعب الألوان دوراً هاماً بتأثيرها علي نفسية المتلقي، فالبعض يفضل الألوان القائمة الصارخة، والبعض الآخر يفضل الألوان الهادئة البسيطة الزاهية.

وكذلك تتعلق الألوان بالظروف والمناسبات، فيرمز بعضها إلى الفرح، والبعض الآخر إلى الحزن وهكذا.

فالألوان علىأغلفة العديد من الكتب لها إيحاءات ودلالات، كما تنتقل أفكار وعادات ومعتقدات، فرواية إبراهيم الكوني (الدُميَّة) غلبت عليها الألوان الهادئة بين الأبيض والبنفسجي بدرجاته، فكانت الأقسام الثلاث من الغلاف التي تحدثنا عنها سابقا كل جزء يحمل لوناً خاصاً، فالجزء الأول من الأعلى تأخذ مساحته اللون الأبيض الذي يتخلله خيوط الدُمَّية، "وأن دلالته اللون الأبيض يد على النقاء والصفاء والوضوح، وكذلك البراءة والبساطة ".[36]

نستوحي من دلالة اللون أن الدُمَّية كلعبة أطفال توحي بالبراءة والصفاء، فربما يُلمح المؤلف لطفولته البريئة النقية حيث ولد في الحماد الحمراء، أو في عالم الصحراء، ذلك العالم الواضح الملامح محاولاً سرد مقتطفات من تلك الطفولة في هذه الرواية واصفاً ومؤرخاً لتلك الحياة أو لذلك الماضي البعيد.

كما ككُتب اسم المؤلف بلون أحمر ومن المعروف أن "اللون الأحمر أحد ألوان الطبيعة، لون دافئ يعبر ع العاطفة، وكذلك الخطر والعدوانية، والشاجعة والإثارة، ويعد محفز للشهية، فقد استخدم في العديد من شعارات المطاعم؛ لأنه مفعم بالحيوية والحركة".[37]

فدلالة اللون الأحمر تختص بالمؤلف وما يتمتع به من حركة وحيوية ونشاط ثقافي، فقد تميز بأعماله الكثيرة التي قاربت الستون عملاً بين والرواية القصة والشعر.

أما عنوان الرواية (الدُمَّية) قد كتب بلون بنفسجي غامق، ودلالة اللون البنفسجي "لون ملكي يدل علي الفخامة والرقي، ولطالما ارتبط مع الكنيسة منذ القديم، مما يدل علي الحكمة والكرامة، وكذلك علي مر التاريخ، كما حمل هذا اللون معنى الترف والخيرات)). [38]

قدتكون دلالة اللون البنفسجي الذي كُتب به العنوان (الدُمَّية) قد حمل معاني اللون كلها، فالرواية تتحدث عن ما في الصحراء من خيرات وكنوز، ما فيها من معتقدات وديانات عديدة عبر التاريخ، فرواية (الدُمَّية) تصنف من الأعمال ذات الفخامة والرقي.

فالمؤلفأرخ لبعض حياة الصحراء من خلال استدعائه للرموز والأساطير والحكايات الخرافية، وبعض ملامح الحياة والاجتماعية والسياسية والاقتصادية لتلك الصحراء وهذا ما يحتاج لدراسة أكثر عمقا لا مجرد أشارت عابرة.

وما يخص القسم الثاني الذي انقسم إلى جزئين، الجزء الكبير الذي أخذ مساحة أوسع ولوناً اكثر هدوءاً، فتلك الطبيعة الصحراوية بكل موجوداتها.

والجزء الأصغر الذي أخذ شكل المربع والذي رمزنا إليه بصورة معلقة بداخلها إنسان، فقد جاءت بلون بنفسجي أكثر غمقاً، توحي بالدال (الفأس)، ومدلوله علي الخيرات والترف في تلك الصحراء أو الواحة.

كما تؤل لرمز وهو (العصي) فهي الدال ومدلولها القوة والحكمة والكرامة والتاريخ الحافل بالبطولات والنصر.

فكلها رموز وإشارات ودلالات ألوان ليست بالأمر الاعتباطي،ولا من قيل المصادفة، فالكاتب على وعي كبير بكل تلك الدلالات، فقد يكون من اختيار غلاف الرواية، وما يحمله من

ألوان، وربط بين ذلك كله بمحتوي النص، فكان العنوان جامع مانع وال ومدلول لنص الرواية، ولكل آراء وتأويلات في ذلك.

من ذلك نخلص إلى:

أن اختيار لون صورة الغلاف تضامنت مع العنوان والنص كاملا وكان بمثابة المرآة، حيث عكست الألوان مضمون هذا العمل الإبداعي كاملا رغم ما يوحي كلاهما بالتخفي والغموض.

الخاتمــة:

في ختام هذه الدراسة البسيطة نلخص إلى عدة نتائج وهي كالتالي:

1- وردت لفظة(سيمياء)في بعض آيات القرآن الكريم، وقد حملت (العلامة) وهذا المعنى جاء متفقاً مع معنى اللفظة الواردة في المعاجم العربية، وكانت أيضاً بمعنى(العلامة أو الإشارة).

2- إن السيميائية في الاصطلاح هي: دراسة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، ودراسة بنية الإشارات وعلائقها في هذا الكون ووظائفها، الداخلية والخارجية، ولذلك فهي نظرية شاملة لكل العلوم الإنسانية والتطبيقية.

3- الهدف الذي تسعى إليه النظرية السيميائية دراسة الرموز والإشارات، والبحث في علاقتها بالمعاني والدلالات الغير مرئية وربطها بالواقع من خلال التأويل والبحث في ما وراء المعنى أو (النص).

4- إن اختيار إبراهيم الكوني لعنوان روايته (الدُّمية) ليس عبثاً، وإنما جاء نصا مختزلا ومكثفا ومختصرا في الوقت ذاته، ومليء بالدلالات والمعاني؛ فقد تظافر العنوان وتوافق مع مدلول النص، أو متن الرواية فكانت (الدُّمية) رمزاً وقناعا لبيئته ومجتمعه، ولكل المجتمعات، فهي إشارة لقضية الصراع المستمر على الحكم والسلطة.

5- إن الخرق الدلالي الذي أحدثه عنوان الرواية (الدُّمية) خرَّج هذه اللفظة من دلالتها الحرفية لعبة من الخشب أو القماش أو غير ذلك، وربط بينها وبين الحقيقة والواقع الذي يعيشه أو يحاول أن يصفه، فتكونت علاقة رمزية إيحائية غامضة وخفية وغير مألوفة لدى القارئ من الوهلة الأولى، فالكوني كان بارعاً في اختيار العنوان وربطه بمتن الرواية.

6- من خلال القراءة البصرية لصورة غلاف الرواية وما يحتويه من (الخطوط الشكلية، وتقسيم إطار الغلاف، والصورة التي تحمل رسمة إنسان حاملا (عصاً أو فاساً)، وكأن إبراهيم الكوني يؤرخ لحياة الصحراء ومعتقداتها الدينية والأسطورية وللعادات والتقاليد التاريخية.

7- إن اختيار لون صورة الغلاف قد تضامن مع العنوان والنص كاملاً، وكان بمثابة المرآة حيث عكست الألوان مضمون هذا العمل الإبداعي كاملاً، رغم ما يوحي كلاهما بالتخفي والغموض.

والله ولي التوفيق

هوامش البحث

(1)سورة الفتح، الآية: 29.

(2)سورة الرحمن، الآية: 41.

(3)سورة الاعراف، الآية: 48.

(4)ينظر: محمد بن جلال الدين بن كرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط 1، 1990م، ص 484.

(5)الطاهر الزاوي، مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، 1981 م، ص 318.

(6)ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، مصر، ج 2، د – ط، ص: 358.

(7)ينظر، أساس البلاغة، تحقيق باسل، ج 1، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1998م، ص: 587.

(8)ينظر: توسان برنارد، ماهي السيميولوجيا، ترجمة محمد نظيف، ط 2، افريقيا، الشرق المغرب، 2000 م، ص: 9.

(9)ينظر، عدد من المؤلفين، سيماء براغ للمسرح، دراسات سيميائية، ترجمة ادميركورية، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1997 م، ص: 3.

(10)ينظر: عبد الحميد علوي اسماعيلي، موقع الكتروني.

(11)ينظر: الاتجاه السيميائي في النقد المعاصر، موقع الكتروني.

(12)ينظر فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الدرا العربية للعلوم، ط1، ناشرون، 2010 م، 4: 7.

(13)ينظر: عصام خلق الله، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر، 2003م، ص: 19.

(14)نفسه، ص: 19.

(15)ينظر: عصام خلق الله، الاتجاه السيمولوجي، ونقد الشعر، ص: 26 – 18

(16)ينظر: سعيد ادريسي، السيميائيات: بحث في الأصول والامتدادات، موقع الكتروني.

(17)ينظر: عصام خلق الله، الاتجاه السيمولوجي ونقد الشعر، ص: 42 – 38.

(18)عدد من المؤلفين، سيمياء براغ للمسرح، ص: 3.

(19)ينظر: نفسه، ص:3.

(20)ينظر: عبد المجيد علوي اسماعيلي، موقع إلكتروني.

(21)ينظر: عدد من المؤلفين، سيمياء براغ للمسرح، ص: 3–4.

(22)نفسه، ص:5.

(23)ينظر نفسه، ص:5.

(24)عبد المجيد العلوي اسماعيلي، موقع الكتروني.

(25)ينظر، نفسه: عبدالمجيد العلوي اسماعيلي، موقع الكتروني.

(26)ينظر: عقيلة، سرير، فاطمة الزهراء فايدي، النظرية السيميائيةوتجلياتها في النقد الحديث، رسالة ماجستير جامعة الجيلاني بونعامة، كلية الأداب واللغات، الجزائر، 2014 – 2015م، ص: 6.

(27)ينظر: السيميائيات، بحث في الأصول والامتدادات، موقع الكتروني.

(28)ينظر: عقيلة، سرير، فاطمة الزهراء، النظرية السيميائية وتجلياتها في النقد الحديث، ص: 32 – 33،

(29)ينظر: نفسه، ص: 33.

(30)ينظر فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات، ص، 86.

(31)نادية ويدير، اللغة والقارئ النموذجي في رواية ذاكرة الجسد، مجلة الأثر، عدد خاص اشغال الملتقي الوطني الأول، جامعة تيزي وزو، الجزائر، 2012م، صفحة 213.

(32)ما الدُمَّية؟، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(33)المعنى وراء الألوان، مقالات، موقع إلكتروني.

(34)ينظر نفسه.

(35)عامر رضى، سيمياء الألوان في شعر هدى ميقاتي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 2، المجلد 7، 2014 م، صفحة 100.
(36)محمد زيمامي، ماهية دلالات الألوان، 2014 م، موقع إلكتروني.
(37)المعنى وراء الألوان، مقالات، موقع تصميم.
(38)نفسه.